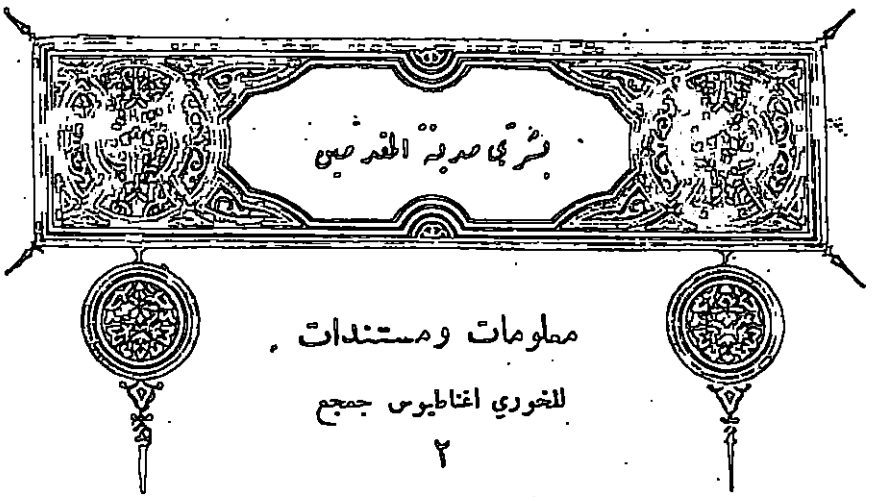

معلومات ومستندات

للخوري اغناطيوس جمجم

٢

عوائدهم (تابع)

كان الملبوس للرجال والنساء يتطوّر بتطوّر العصور . فكان اولًا القميص للارض لا سيما قصان الردينية ثم السراويل ثم القنابيز . وللرجال خاصة العباءة البشراوية واللبادة ، او الكوفية والعقال او العراقية والطربوش بانواعه .

اما النساء فكن يلبسن كثيرًا من الحلي من ذلك السلّيّات وهي حبال من ذهب رفيعة تمتد من الرسغ الى الزند مرتبطة بقفل . والشكمات نوع من الاساور عرضها اربعة اصابع بقفل . ثم الاساور والدمالج والخواتم والبناق يطوّق العنق كالاصابع بطبقات من ذهب . والسنوبرية تتعلق منحدرة من العنق الى الصدر . والفاتق على نسق قلوب الفستق تمتد من الاذن وتشكل بديوس في الشعر على الجهتين بعرض خمسة اصابع مقرنة . والخلق مع اصنافها ولاسيما حلقة تعلق في الاذن ويمتدّ منها سلسلة مشكوكة بالغوازي الذهبية والسوالف وهي جدائل تنتهي باساور رفيعة معلقًا فيها ثلاث غوازي .

اما على الرأس فيضمن اولًا الشكة وهي غوازي من ذهب ممتدة من الاذن الى الاذن ويربطن عليها منديلًا ثم المقدّر ، وهو بعرض اصبعين او ثلاثة يربط على الجبهة . والغطاء النقاب . اما الطبر فهو كناية عن شلال غوازي او رباعي ذهبية يربط فوقها اكثر من عشرين منديلًا . والطنطور قضيب رفيع من حديد او من فضة مغطى بمنديل مشكوك غوازي ذهبية . اما الطاسة والقرص والطربوش والطرة والعاقوص والخلخال فلا حاجة لشرحها .

ديانتهم — بعض مظاهر عبادتهم

قال ابن القلاعي في مختصره : كان الموارنة في دخول المسلمين الى بلاد الشام يسكنون جبل لبنان ، ويتولون باقتدارهم وسيطرتهم الجبال والسواحل التي تجاورهم ، ويعتقدون بايمان الكنيسة الرسولية الرومانية ، ويقدمون الطاعة لبطريركهم المقيم بينهم ، ويحامون عن الدين المستقيم ، ويتضرون لكل من اتاهم حباً بالامانة من ظلم اصحاب الكفر . فاشتهر سكان بشري بهذه الصفة .

كانوا كل يوم يحضرون لسماع القداس . ويقيمون الصلاة صباحاً ومساء فتجتمع العائلة قبل الرقاد وتتلو الصلاة مع طلبة العذراء . اما مناولة القربان المقدس فكانت عمومية الاحد الاول والثالث من كل شهر .

وكان الكهنة لديهم ممثلي الديانة ، فيسمعون كلامهم ويقولون قولهم . واذا تخاصم احد مع الآخر اصطلحا عند غروب الشمس واخذا البركة من الكاهن ، تابعين قول المسيح « لا تغرب الشمس على غضبكم » وكان اعظم شر واكبر خطيئة في نظرهم الزنا والحرام . وكل زانٍ وسارق منبوذ بالفعل ذاته من الجماعة ومطرود من الكنيسة . وعلى كل انسان ان يحامي عن العرض ، ومن مات في هذه المحاماة كان له الفخر والاكرام .

ومن مظاهر تقواهم عبادتهم لمريم العذراء فانهم كانوا على يقين من ان الله لا يرد شفاعتها . فان اهانوا الله فمريم تتشفع بهم . فاما اذا اهانوا مريم فمن يتشفع بهم ؟ ومن تأثير عبادتهم لها كانوا يسلمون قائلين : « يتمجد اسم يسوع ومريم » فيكون الجواب : « السلام لستنا مريم . » ثم ان شركة الوردية ، وثوب الكرمل ، وقطاعة شهر ايار وصيامه وصيام السبت كان كل ذلك عمومياً . وقبل المنام كان رب البيت يجمع العائلة ويتلو طلبة مريم العذراء كما تقدم .

اما ايام الصيام فكان يجتمع الجمهور عند الكهنة . وفي آخر القراءة الروحية تبتدي تلاوة آيات الكتاب المقدس . وكان على كل حاضر ان يورد آية تبتدئ بآخر حرف من الآية التي قالها جاره قبله .

ومن العادات الدينية انهم كانوا « يشعنون » الاطفال اي يزينونهم يوم

اجد الشابين . اما الاولاد فيحملون ضف النخل ويدخلون الكنيسة مع الرجال صائحين بهتاف عظيم : « مبارك الآتي باسم الرب . . . محبتي بدين المسيح كيرياليسون : » ويتكرّر ذلك عند تلاوة الانجيل ، ثم في خروجهم من الكنيسة وتطوافهم حولها .

وكذلك كانت تظهر تقواهم في خميس الجسد ، واحتفالهم اذ ذاك دليل على ايمانهم بوجود المسيح في القربان المقدس . فالرجال يرشون الماء المطهّر ، والاولاد ينثرون الزهور ، والنساء يبذرن الحبوب . وتطرح الاغطية تحت اقدام الكاهن الحامل الجسد . ويقوم فريق من الشبان باطلاق البارود . وعند دخول الجسد الى الكنيسة كانوا يصعدون الى السطح ويتابعون اطلاق « المراضة » .

الكنائس

تظهر بشري محاطة بسور من الكنائس تحميها من صدمات العدو والامراض الوبائية . فترى شرقاً كنيسة الارز ، فار انطونيوس الكبير ، فار ليشع الفوقاني فدير الصليب ، فار سركيس ، فسيدة الحصن ، فار ماما ، فار شهرا ، فانطونيوس البادراني ، ثم الجديد الذي بناه الخوري انطونيوس جمجم .

شمالاً مار باسيليوس وهو الآن مقبرة ، فار يوسف القديم ، فسيدة النور ، فنحمل الله ، فار تادرس ، فسيدة الدر . غرباً مار يعقوب المقطع ، فالقديسة بربارة ، فار برجس ، فارت مورا .

جنوباً وادي قاديشا وصوامعه في اوسط مار الياس ، فمار مخائيل ، فار سابا ، فار توما ، فار يوحنا (مار توما انضم الى كنيسة مار يوحنا) فار يوسف الجديد دير الكرملتان ، فسيدة نايا ، وسيدة بشري . (مار يوسف الجديد تم بنيه الخوري يوسف النعجة والخوري مبارك كيروز) وكان البشراويون وقت الامراض وزمن الحرب يحيطون هذه الكنائس بزنانير ومحارم وقماش . . . وتدوي بصراخ النساء طالبات متضرعات بحفظ الاهل وصون الاوطان .

وقد ذكر الدويهي نبذة عن بناء بعض الكنائس قال :

في سنة ١١١٢ شرع بعض اهل البرّ يبنون كنائس واديرة ومدارس .

وكان للخوري باسيل البشراني ثلاث بنات تقلا وصالومي ومريم نذرن العفة وانفقن جميع ما يملكن على بناء الكنائس. اما تقلا فبنت في بقرقاشا هيكل مار جرجس ومار ضوميط، وفي بشنين من ارض الزاوية كنيستين احداهما على اسم القديس لابا الرسول (وهو تدّاوس او يهوذا اخو يعقوب) والثانية على اسم القديس سركيس الشهير. اما اختها مريم فبنت هيكل القديس سابا في بشري. وصالومي انشأت هيكل القديس دانيال في الحدث (الدويهي ص ١٠٣)

تربية الاولاد

فرحُ الاب باولاده. فمن كثرت اولاده كثر عزّه وطابت نفسه ... ولهذا كان اذا ولد مولود تدوي البلد بقرع الجرس فرحاً واطلاق البارود سروراً. ويترك الاب اسمه متخذاً كنية «ابي فلان» باسم ولده البكر. ويعد ثمانية ايام يعتد الولد، وتُدعى الناس الى وليمة العماد. واول كلمة يتلفظ بها الطفل أبا ماما، ثم يسوع مريم. ويتقدم عمراً وعلماً في الديانة والقراءة ... واعتقاد الاهل ان الولد عطية الله ووديعة منه فلا بد من المحافظة عليه ... فكان الجميع يمتنعون امامه عن كل كلمة او حركة ضد الاداب كي يبعدوا عنه كل سبب فيه بزور الشر. وكانت تتلى على سماعه قصص الحرب والحماسة والشرف وحب الوالدين واكرامهم واعتبار من هم اكبر منهم سناً، فيترسخ في ذهنه احتقار الموت، ويتشرّب حب الفخر والمجد. في صغر الناشئين تبتدئ ممارسة الحرب من ركوب الخيل، ورمي «العلام» بالرصاص او النشاب، والمصارعة، والمباطحة وكثيراً ما تراهم شطرين متحاربين خارج البلدة بالحجار وبالمقلاع وبالنشاب ثم بالعصي، واخيراً بالرصاص حتى اذا كُسر فريق منهم وارتد الى الوراء، رجع الفائزون وهم موضوع فرح الاهل والجيران، ولاسيما من يرى عليه علامة الدم فيكافأ احسن مكافأة. وهكذا كانت تتروّض الاولاد على الحرب واخذ الثأر والمحافظة على العرض والوطن.

فرحهم

للاب سلطة مطلقة. والزواج منوط بالوالدين، فينتخب الاب العروس لابنه

ويهنئها حشمتها وتقواها وسمعتها ولاسيما صيت والديها . حتى اذا تم القول بين والد العريس ووالد العروس يقول الاب لابنه : اخترت لك فلانة عروساً . فيجاوب : ارادتي ارادتك . والعروس تقول : القول لابي ليس لي ، اريد من يريده . ومن ثم يتوجه الكاهن واهل العريس الى بيت العروس طالبين الابنة رسمياً واضعين الخطبة . وبعد ذلك يتردد العريس الى بيت الخطيبة ، وهي محجوبة عنه لا تظهر امامه . ثم ينادى بالكنائس ثلاثة آحاد متوالية في القداس : « ان فلان طالب فلانة للزواج فعلى من يعرف وجود مانع ان يظهره والا يحرم . » واذا تمت ايام الخطبة يذهب العريس مع البعض من الرجال فيخطفون العروس ، وهي تصرخ وتولول ، فيحملونها او يجرونها بايديهم .

ثم يبتدئ العرس مدة ثمانية ايام وكل ليلة تجتمع الرجال عند العريس والنساء عند العروس بالاغاني والرقص والدبكة .

يصير الاكليل في الكنيسة . وعند الانتهاء يرتدون الى بيت العريس . وهناك يفرحون ويتهللون بالشرب والاغاني والتراويد .

وعند دخول العروس الى البيت تقف حماتها امام الباب وتناولها خميرة تلصقها على عتبة الباب . ثم تدخل وتجلس على مرتبة مرتفعة ، والكريشة مسدولة على وجهها فيمر الرجال امامها قائلين : « مبارك صلاتك يا عروس ، الله يتمم افراحكم بخير . »

وبعد اسبوع يحتفل « بقداس الاسبوع » فترسل اوراق حناء الى كل بيت مدعو الى العرس مساء ، فتتحنى النساء ، ويذهبن الى بيت العروس صباحاً لابسات اثواب الفرح يمشين على صفين امام العروس والعروس تتنقل رويداً رويداً على وجهها كريشة حمراء شفافة ، وعلى يمينها الشبينة . اما العريس فيحضر القداس يحيط به الشبين وبعض الرجال . وعند انتهاء القداس يرجع المدعوون الى البيت وتوضع مائدة للرجال يترأسها العريس ومائدة للنساء تترأسها العروس .

ومن مظاهر افراحهم الرقص . ويكون ذلك بان يقف الراقص قائلاً : « دستور ، يا شيخ » موجهاً كلامه الى الاكبر . ثم يلتفت الى الجمهور قائلاً : « دستور يا شباب . » فيبتدئ التصفيق والدق بالمنجيرة . ثم يأخذ الراقص يلعب

متمثلاً متخلطاً متقدماً متأزراً حسب النغمات . ومن المدهش رقصهم بالسيف والخنجر وما الى ذلك من الالاعيب الدقيقة البهيجة .

حزنهم

حزنهم كفرحهم شديد جدًّا . اذا مرض رجل مرضاً ثقيلاً تأخذ الكآبة من الاقارب والمعارف ، وتتوارد الناس لعيادته . ويلازمه الكاهن ليلاً ونهاراً حتى اذا اشتد المرض نبهه قائلاً له : قل « يا يسوع بيدك اضع روحي . تعلق بجمال المسيح . تعلق برجاء مريم ، قدم حياتك ، بدلك تموت . قل فعل الندامة حتى حلك » ثم يمشحه محاطاً من اقاربه ذارفين الدموع طالبين من الله ان يتسلم روحه ويقوده الى السماء بواسطة ملائكته . وعند موت المريض يرتفع الصراخ ويقرع الجرس حزناً فتتراكض الناس الى بيت الميت فيجتمع الرجال مع الرجال والنساء يحطن الجثة نادبات باكيات مترنمات حزناً .

وما دامت الجثة في البيت ، لا يكنّ النساء عن الندب والولولة . وفي كل فترة يدخل اهل الميت من الرجال مع بعض الاقارب فيودّعون الراحل بكلام مؤثر ويردّدون « التراويد » المحزنة . وفي آخرها تطلق النساء الصراخ . ثم يدخل الغرباء ويرجعون اهل الميت الى الخارج . اما اذا كان الميت في اول عمره فيقوم مقام الندب الرقصُ واللعب بالسيف كما في الافراح .

واذا مضت اربع وعشرون ساعة يؤخذ الميت الى الكنيسة ، والرجال امام النعش والنساء وراءه ناشدات اناشيد محزنة يبكي لها السامعون . وبعد الدفن يرجع المحزونون الى البيت مرافقين ممن شاطرهم الاحزان . ثم على مدة اربعين يوماً يدعو الرجالُ الرجالَ من اهل الفقيد غداء وعشاء ، والنساء تحمل صواني الطعام للنساء المحزونات . وعلى مدة اربعين يوماً كذلك تجتمع النساء بعد القداس اليومي على القبر فيندبن الميت ويبكينه ساعة . ثم يرافقن المحزونات الى بيتهن . . . وان كان الميت زعيماً تسرج الخيول وتطوف الطرقات امامها النادبات تندب والرجال « تردّد » حزناً . . . ومدة اربعين يوماً ترتدي الناس ثياب الحزن والعصبة على رأس النساء . اما الرجال فيمتنعون فوق ذلك عن حلق الشعر وابداء علامة فرح . ونهار الاربعين يفكّ الحزن . (له صلة)